

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

البعد الاجتماعي والثقافي للتغيرات المناخية: " مقارنة سوسولوجية وأنثروبولوجية تحليلية "

**The Social and Cultural Dimension of Climate Change:
An Analytical Sociological and Anthropological Approach**

خالد زحزاح*

جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر)، k.zahzah@lagh-univ.dz ، مخبر التمكين

الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية

تاريخ النشر: 2026/03/01

تاريخ القبول: 2026/02/01

تاريخ ارسال المقال: 2025/12/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

لم يعد التغير المناخي مجرد قضية بيئية تُدرس ضمن حدود العلوم الطبيعية، بل أصبح ظاهرة شمولية تمس البنى الاجتماعية والأنساق الثقافية في عمقها. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل البعد الاجتماعي والثقافي للتغيرات المناخية من منظور سوسولوجي وأنتروبولوجي، من خلال إبراز انعكاساتها على أنماط العيش، والهوية الجماعية، والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات التقليدية والمعاصرة، اعتماد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى الأدبيات النظرية الحديثة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا البيئية، قصد الكشف عن تمثيلات الفاعلين الاجتماعيين للتغير المناخي وآليات التكيف الرمزي والثقافي معه. وتوصلت الدراسة إلى أن التغير المناخي لا يقتصر على تحوّل مادي في البيئة، بل يمتد ليحدث تحولات في الوعي الجمعي وفي النسق القيمي والثقافي، مما يفرض على العلوم الاجتماعية إعادة بناء أدواتها التحليلية لفهم هذه الظاهرة في بعدها الإنساني الشامل.

الكلمات المفتاحية: التغيرات المناخية، الأبعاد الاجتماعية والثقافية، البنى الاجتماعية والرمزية، الأنساق.

Abstract :

Climate change is no longer merely a purely environmental issue discussed in scientific conferences within the confines of physics, chemistry, and climatology, Rather, it has become a comprehensive phenomenon that brings about profound transformations in lifestyles, social relationships, and both local and global cultures. This new reality has compelled the social and human sciences to move beyond neutrality and engage in analyzing the non material dimensions of these transformations particularly the impact of climate change on social structures, symbolic systems, and the cultural identity of human communities.

This paper aims to analyze the phenomenon of climate change from a sociological and anthropological perspective by tracing the transformations affecting social and symbolic structures in both traditional and contemporary societies. The focus is on mechanisms of collective perception, narratives of adaptation, and the interactions of social actors with the changing environmental reality.

Keywords: Climate change, social and cultural dimensions, social and symbolic structures, systems.

مقدمة:

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تحولات مناخية حادة تمثلت في ارتفاع درجات الحرارة، وذوبان الجليد القطبي، وتزايد وتيرة الفيضانات والجفاف، وظهور أنماط طقس غير معتادة. ورغم أن هذه الظواهر تبدو في ظاهرها ذات طابع بيئي صرف، فإن تداعياتها تتجاوز المجال الطبيعي لتطال عمق البنى الاجتماعية والأنساق الثقافية للمجتمعات،

وقد غدت التغيرات المناخية لا تُناقش فقط في أروقة المؤتمرات البيئية والمنتديات العلمية، بل أصبحت قضية تمس الأمن الغذائي، والهجرة، والتماسك الاجتماعي، والهوية الثقافية، بل وحتى السلم الاجتماعي العالمي. إن المقاربة السوسيولوجية للتغيرات المناخية تتيح فهماً أعمق لكيفية تفاعل المجتمعات سواء كانت صناعية أو تقليدية مع التحولات البيئية الطارئة، وكيف تسهم العوامل الثقافية والدينية والتاريخية في تشكيل تصورات الأفراد والجماعات لهذه الظاهرة. فالمناخ ليس مجرد معطى طبيعي، بل هو مكوّن أساسي في التمثلات الجمعية والأنظمة الرمزية التي تنظّم حياة الناس ومن هنا، فإن أي تغير في المناخ يؤدي إلى اهتزاز في البناء الاجتماعي والثقافي ويستدعي من العلوم الاجتماعية تحليل الكيفيات التي تُعيد بها المجتمعات بناء توازنها الرمزي والاجتماعي.

وانطلاقاً من هذا التصور، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل البعد الاجتماعي والثقافي للتغيرات المناخية من منظور سوسيولوجي وأنتروبولوجي، للكشف عن طبيعة التحولات التي تُحدثها في أنماط العيش، والوعي الجمعي، والهوية الثقافية، وصولاً إلى بلورة نتائج تبين دور الثقافة والمعرفة المحلية في صياغة استجابات جماعية فعّالة، وهي النتائج التي تُختتم بها الدراسة في ضوء الدعوة إلى دمج البعد الاجتماعي والثقافي ضمن استراتيجيات المواجهة المناخية.

• الإشكالية:

تنطلق هذه الدراسة من جملة من التساؤلات المركزية التي تسعى إلى فهم التفاعل المعقّد بين الإنسان والمناخ في أبعاده الاجتماعية والثقافية.

فكيف تُدرك المجتمعات المحلية التحولات المناخية وتفسّرها في ضوء منظوماتها الرمزية والمعرفية؟ وما هي الأدوات الثقافية والقيمية التي تستند إليها في مواجهة هذه التحولات والتكيف معها؟ وكيف تؤثر التغيرات المناخية في بنية العلاقات الاجتماعية، وأنماط العيش، وتمرّلات الهوية الجماعية؟ تشكل هذه التساؤلات منطلقاً لمقاربة الظاهرة من منظور سوسيولوجي وأنتروبولوجي يدمج بين تحليل البنى الاجتماعية والأنساق الرمزية، بهدف الكشف عن الكيفيات التي تعيد بها المجتمعات صياغة توازنها الثقافي والاجتماعي في مواجهة التحولات المناخية، وهي الأسئلة التي وجّهت مسار البحث وأسهمت في بلورة نتائجه النهائية.

• الهدف من البحث: هو محاولة الكشف عن العلاقة الجدلية بين التغير المناخي والتحولات الاجتماعية

والثقافية، من خلال دراسة آليات الإدراك والتفاعل والمقاومة لدى الأفراد والجماعات، وتحليل كيفية تأثير المناخ على الممارسات الثقافية والأنساق الرمزية في المجتمعات المعاصرة والتقليدية على حد سواء.

• أهمية البحث: تكمن في سدّ فجوة معرفية داخل حقل الدراسات البيئية، من خلال إبراز البعد الثقافي والاجتماعي الذي ظلّ مهمشاً أمام سيطرة الرؤية التقنية والاقتصادية.

• حدود البحث: تقتصر على تحليل الظاهرة في أبعادها الاجتماعية والثقافية دون التطرق التفصيلي إلى النماذج الفيزيائية أو الاقتصادية إلا بقدر ما يخدم تحليل السياقات الاجتماعية.

• المنهج: المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج التحليلي-الوصفي، حيث تم الاعتماد على تحليل الأدبيات النظرية والدراسات السابقة ذات الصلة لفهم الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتغير المناخي، مع التركيز على كيفية إدراك الأفراد والجماعات للتغيرات المناخية، وأنماط تفاعلهم معها، وآليات التأقلم أو

المقاومة التي يطورونها، كما تم الاستناد إلى مفاهيم وتحليلات مستمدة من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بهدف استكشاف الأبعاد الرمزية والقيمية التي ترافق التحولات المناخية، مع التركيز على التمثيلات الاجتماعية والتصورات الجماعية حول البيئة .

المبحث الأول : ماهية التغير المناخي

المطلب الأول: تعريف التغير المناخي

يشكل التغير المناخي أحد أبرز التحديات التي تواجه الإنسانية في العصر الحديث، وقد بدأ المجتمع العلمي يُولي اهتمامًا متزايدًا بهذه الظاهرة منذ القرن التاسع عشر، حيث توصل عدد من الباحثين والمتخصصين في علوم المناخ والجغرافيا إلى أن المناخ الأرضي يشهد تحولات مستمرة من شأنها أن تؤثر سلبيًا على أنماط الحياة البشرية في مختلف المجالات، وتعود هذه التحولات إلى مجموعة من العوامل الطبيعية والأنشطة البشرية المتزايدة، وفي هذا الإطار، قدمت عدة هيئات ومؤسسات علمية تعريفات متنوعة لظاهرة التغير المناخي، ومن أبرزها ما ورد في ديباجة اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، والتي تُشير في فقرتها الأولى إلى أن التغير المناخي يتمثل في "التحولات المناخية التي تنجم بشكل مباشر أو غير مباشر عن الأنشطة البشرية، والتي تؤدي إلى تعديل في تركيب الغلاف الجوي العالمي، ويُلاحظ تأثيرها فوق التغيرات المناخية الطبيعية خلال فترات زمنية متقاربة"¹.

يوضح هذا التعريف أن التغير المناخي ناتج عن تداخل مجموعة من العوامل، يأتي في مقدمتها النشاط البشري، إلى جانب الأسباب الطبيعية التي تسهم بدورها في هذا التحول، وفي هذا السياق، يرى الفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ (GIEC) أن التغير المناخي يشمل مختلف التحولات التي تظهر من خلال مؤشرات إحصائية واضحة، وتمتد آثارها لفترات زمنية طويلة، سواء كانت نتيجة مباشرة لتدخل الإنسان في البيئة، أو ناجمة عن التفاعلات الداخلية بين مكونات النظام المناخي ذاته.²

يشير هذا التعريف إلى سمة محورية في ظاهرة التغير المناخي، وهي استمراريته الزمنية، إذ إن الآثار الناتجة عنها، رغم أن أسبابها قد تكون راهنة، إلا أن تداعياتها ستبقى مؤثرة على أجيال المستقبل، وقد أسهمت التقارير المتعاقبة الصادرة عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في ترسيخ قناعة علمية شبه جماعية، مفادها أن التغير المناخي أصبح حقيقة ملموسة لا مجال للشك فيها، وأن غالبية التحولات المناخية المرصودة خلال العقود الخمسة الأخيرة تُعزى بدرجة عالية من الثقة تفوق 90% إلى الأنشطة التي يقوم بها الإنسان.³

المطلب الثاني: المقاربات النظرية في دراسة التغيرات المناخية

1- المقاربة البنائية: تُبرز هذه المقاربة أن إدراك التغير المناخي لا يقوم فقط على "حقائق علمية"، بل يتشكل من خلال تمثيلات اجتماعية وخطابات إعلامية وثقافية، فالناس لا يستجيبون للمناخ كما هو، بل كما يتصورونه.⁴

2- المقاربة الهيكلية: تنظر هذه المقاربة إلى الظاهرة باعتبارها نتاجًا لعلاقات القوة الاقتصادية والسياسية، حيث تسهم الرأسمالية الصناعية في إنتاج أنماط غير مستدامة من الاستهلاك والاستغلال البيئي، مما يؤدي إلى تفاقم الكوارث المناخية في الجنوب العالمي.⁵

3-المقاربة الثقافية: تركز على البعد الرمزي للبيئة، أي كيف تعبّر المجتمعات عن علاقتها بالمناخ من خلال الأساطير، والدين، والطقوس، والأمثال الشعبية، وتساعد هذه المقاربة في فهم الفوارق بين المجتمعات في تفسيرها للآزمات البيئية.⁶

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي لتغير المناخ

لا تُوزّع آثار التغير المناخي والفقر بشكل عادل بين مختلف الفئات والمجتمعات، إذ تتداخل مجموعة من العوامل الاجتماعية والفردية، كالجنس (النوع الاجتماعي)، والفئة العمرية، والمستوى التعليمي، والانتماء العرقي، والموقع الجغرافي، وحتى اللغة في تشكيل درجات متفاوتة من الهشاشة، سواء في التعرض للمخاطر أو في القدرة على التكيف مع تداعيات التغيرات المناخية.

المطلب الأول: التغيرات المناخية والتماسك الاجتماعي

أدت التغيرات المناخية إلى إحداث تحولات ملموسة في أنماط التماسك والعلاقات الاجتماعية داخل العديد من المجتمعات، مما ساهم في إضعاف الروابط التقليدية وأعاد تشكيل ديناميات التفاعل الاجتماعي، خصوصاً تلك التي تعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية، ففي المناطق الزراعية مثل دول الساحل الأفريقي، أدت موجات الجفاف المتكررة إلى فقدان مصادر العيش الأساسية، مما ساهم في تصاعد النزاعات المجتمعية حول الأرض والماء والرعي، وخلق حالة من التنافس الذي قوض شبكات التضامن التقليدية.⁷

كما أن الهجرة البيئية الناتجة عن التغير المناخي ساهمت في إعادة تشكيل النسيج الاجتماعي، إذ أدى انتقال السكان من المناطق المتضررة إلى المدن أو إلى دول مجاورة إلى حدوث اختلالات في التوازن السكاني، ونشوء توترات بين السكان الأصليين والوافدين، لا سيما في ظل ضعف السياسات العمومية في استقبال وإدماج النازحين.⁸

المطلب الثاني: الهجرة المناخية: ديناميكيات جديدة للحراك البشري

تُعد الهجرة المناخية إحدى أبرز الظواهر الاجتماعية الناتجة عن التغير المناخي، فقد بات من المؤكد أن الملايين من الأشخاص في العقود القادمة سيضطرون إلى مغادرة أماكن سكنهم بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر، أو التصحر، أو فقدان الإنتاج الزراعي، وتختلف دوافع الهجرة المناخية عن تلك الاقتصادية أو السياسية، إذ تجمع بين الطابع القسري والبطيء للتدهور البيئي.⁹

وقد أشار تقرير البنك الدولي لعام 2018 إلى إمكانية نزوح أكثر من 140 مليون شخص في أفريقيا جنوب الصحراء، وجنوب آسيا، وأميركا اللاتينية بحلول عام 2050 بسبب التغير المناخي، إذا لم يتم اتخاذ إجراءات مناخية عاجلة.¹⁰

الهجرة المناخية لا تؤدي فقط إلى انتقال جغرافي، بل تمثل صدمة ثقافية للمهاجرين، إذ يجدون أنفسهم في سياقات جديدة مغايرة لقيمهم وهوياتهم التقليدية، ما يطرح تحديات تتعلق بالاندماج، والحفاظ على الموروث الثقافي، وإعادة بناء الروابط الاجتماعية.

المطلب الثالث: الآثار الاجتماعية للتغيرات المناخية

1- التأثير على النمو السكاني:

تشكل التغيرات المناخية تهديدًا مباشرًا وغير مباشر لحياة الإنسان، وتبرز آثارها بشكل خاص على الفئات الهشة مثل الأطفال والنساء، فمن المتوقع أن تساهم هذه التغيرات في تفاقم مشكلات الجوع وسوء التغذية، وهو ما ينعكس سلبيًا على النمو الجسدي والعقلي للأطفال، ويؤثر كذلك على صحة النساء الحوامل، بما في ذلك المضاعفات الصحية المرتبطة بنقص الغذاء أو تدهور الظروف البيئية.

2- التأثير على الصحة العامة:

يتجلى أثر المناخ المتغير على الصحة عبر ثلاثة مسارات رئيسية، يتمثل المسار الأول في الأضرار المباشرة، مثل التعرض لموجات الحر الشديدة وتلوث الهواء، التي تتسبب في مشاكل تنفسية، وتفاقم أمراض الحساسية، إلى جانب الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والعواصف، أما المسار الثاني، فيتعلق بالتحويلات البيئية التي تؤثر على النظم البيولوجية، كإنتاج الغذاء، وانتشار نواقل الأمراض كالبعوض، والتغيرات التي تصيب الموارد البحرية، في حين يتمثل المسار الثالث في التداعيات غير المباشرة، مثل ازدياد الفقر، وارتفاع معدلات النزوح، والتنافس المتزايد على الموارد الطبيعية كالماء، وما ينجم عنه من آثار على الصحة النفسية للأفراد.

وقد لوحظ منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي عودة ظهور وانتشار أمراض معدية مثل الملاريا، التي تعتمد على ظروف مناخية محددة مثل درجات الحرارة، ونسبة الرطوبة، وكميات التساقط، مما يجعل المناخ المتغير عاملاً مؤثراً في إعادة تشكيل خارطة الأمراض العالمية، وبهذا، فإن تدهور عناصر البيئة المناخية يهدد المقومات الأساسية للصحة البشرية، من هواء نقي ومياه نظيفة وغذاء كافٍ، إلى جانب الحماية من مسببات العدوى، وتوفر السكن الآمن.¹¹

3- التأثير على التوزيع السكاني:

تعد المناطق الساحلية، والدول الجزرية المنخفضة، والمناطق القطبية من أكثر المناطق عرضة للتأثر بارتفاع منسوب مياه البحر وتكرار العواصف، مما يؤدي إلى اضطرابات مباشرة في استقرار التجمعات السكانية في هذه المناطق، وقد دفعت هذه التغيرات المناخية بالفعل إلى إعادة توطين بعض المجتمعات أو تهديد استمراريتها، كما تُعد الدلتات النهرية المنخفضة بدورها نقاطاً حرجية من حيث التعرض للخطر، وهو ما تؤكد المعطيات الميدانية التي تشير إلى تضرر ملايين الأشخاص ومنازلهم جراء الفيضانات في السنوات الأخيرة، ونتيجة لهذه التحديات، بات من الضروري التفكير في أنماط سكانية مرنة تتماشى مع التغيرات المناخية المحتملة، من خلال تشييد مساكن مستدامة تستخدم مصادر طاقة نظيفة وتحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري.

4- التأثير على الأمن:

يحمل التغير المناخي في طياته القدرة على تأجيج الأزمات القائمة، أو إحداث توترات جديدة، إذ يُعد عاملاً مضاعفاً للمخاطر التي تهدد الاستقرار، وقد يتحول في بعض السياقات إلى محفز مباشر لنشوب صراعات عنيفة، فبحسب إحدى الدراسات، فإن التداخل المعقد بين آثار المناخ المتغير والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يُرجّح إمكانية اندلاع نزاعات داخلية في نحو 46 دولة، يقطنها ما يزيد عن 6.7 مليار نسمة، تشمل عدداً من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، وأمريكا اللاتينية، وغيرها من المناطق ذات الهشاشة البيئية والاجتماعية.¹²

5- زيادة الهجرة: يساهم التغير المناخي في دفع الأفراد إلى مغادرة أماكن إقامتهم بعدة طرق، وأكثرها وضوحاً وألماً يتمثل في تصاعد وتيرة الكوارث المرتبطة بالطقس، مثل الأعاصير والفيضانات وحرائق الغابات، والتي تتسبب في دمار واسع للبنى التحتية والمساكن، ما يُجبر السكان على التنقل بحثاً عن أماكن أكثر أمناً للعيش. كما تُشكل ما يُعرف بـ"الظواهر البطيئة" للتغير المناخي، مثل التصحر وارتفاع مستويات البحار، تهديداً تدريجياً لكنه مستمر لمقومات الحياة اليومية، مما يؤدي إلى تدهور سبل العيش التقليدية، ويُرغم العديد من المجتمعات على ترك مناطقها الأصلية والاستقرار في بيئات يُنظر إليها على أنها أكثر استدامة.

وفي هذا السياق، تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من 42 مليون شخص اضطروا للنزوح من منطقة آسيا والمحيط الهادئ خلال عامي 2010 و2011 فقط، نتيجة لعوامل مناخية مثل العواصف الشديدة، والفيضانات، وموجات الحر أو البرد القارس، ويشهد الساحل الإفريقي، لا سيما في المناطق شبه الجافة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، ظواهر مماثلة من النزوح القسري، وتُعد البيئات المتدهورة بفعل التغير المناخي أرضاً خصبة لتصاعد التوترات حول الموارد المحدودة، الأمر الذي قد يؤدي إلى تفجّر صراعات إضافية، تُفاقم بدورها حركة النزوح الداخلي أو العابر للحدود وإلى ما أصبح يعرف باللجوء البيئي.*

المطلب الرابع: الانعكاسات السلبية على القطاع الاجتماعي

تضمن تقرير التنمية البشرية الإنمائي الصادر عن الأمم المتحدة عام 1994 مجموعة من المفاهيم ذات الصلة بحقوق الإنسان التي لها علاقة مباشرة بالحياة الاجتماعية بل وأكثر من ذلك حقه في الحياة، والذي أرصدت أن هذه الحقوق في تدهور مستمر نتيجة مجموعة من العوامل الخارجية وذكر على وجه الخصوص التغيرات المناخية.¹³

- التأثير على الحق في حياة كريمة: خصت القوانين الدولية حقوق الإنسان بعناية فائقة خاصة في الخمسينات الأخيرة من القرن، لما تعرضت له من اضطهاد وانتهاكات حيث وصفت اللجنة المعنية بحقوق الإنسان الحق في الحياة بأنه الحق الأساسي والحق الذي تُبنى عليه بقية حقوق الإنسان، مؤكدة أنه لا يجوز المساس به حتى في ظل حالات الطوارئ العامة. كما شددت اللجنة على مسؤولية الدول في اتخاذ إجراءات إيجابية تكفل حماية هذا الحق، ومن ذلك اتخاذ التدابير اللازمة للحد من وفيات الأطفال وضمان بقائهم على قيد الحياة¹⁴، وهذا الحق الذي يعد أصيلاً للفرد في تدهور جراء ما يحدث في العالم من تغيرات مردها التقلبات المناخية بكل ما تحمله من نتائج سلبية، أشار التقرير الرابع الصادر عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) إلى تزايد مستمر في معدلات الوفيات والإصابات والأمراض المرتبطة بالكوارث المناخية، لا سيما موجات الحر الشديد، والفيضانات، والجفاف. كما لا يمكن تجاهل الواقع المأساوي المتمثل في وفاة أكثر من ثلاثين مليون طفل سنوياً، في سياقات بيئية متدهورة وظروف صحية مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بعوامل مناخية، مثل تلوث المياه. وتُظهر التوقعات أن الفترة الممتدة بين عامي 2030 و2050 قد تشهد ما يقارب 250 ألف حالة وفاة إضافية سنوياً، نتيجة لأمراض كالإسهال، والمalaria، وسوء التغذية، والإجهاد الحراري، الناجمة عن التحولات المناخية المتسارعة¹⁵.

وبناءً على ما سبق، فإن من الواضح أن حياة الإنسان باتت مهددة بفعل التغير المناخي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، خاصة وأن الحق في الحياة يتضمن جملة من الحقوق المتصلة بالعيش الاجتماعي الكريم، والتي تُعد ضرورية

لضمان مستوى معيشي لائق. وفي هذا السياق، أصدرت منظمة الصحة العالمية تقريرًا بمناسبة اليوم العالمي للصحة لعام 2008، خصصته لموضوع حماية الصحة في مواجهة تغير المناخ. وقد بيّنت المنظمة من خلاله أن التغير المناخي أصبح يشكل تهديدًا جوهريًا للصحة العامة، نتيجة لتفاقم ظواهر مناخية متطرفة مثل تكرار موجات الحر، واتساع رقعة الفيضانات، وطول فترات الجفاف، وهي كلها ظواهر تتزايد بفعل التغير المناخي¹⁶.

ولقد تم حصر أهم الانعكاسات فيما يلي:

- تعد الزراعة قطاعا بالغ الحساسية كونه يؤمن الأمن الغذائي، حيث أن التقلبات المناخية تؤثر على المنتجات الزراعية والحيوانية، وتزيد من سوء التغذية خاصة في المناطق التي تعتمد على الإنتاج الزراعي بدرجة أولى¹⁷.
- إن ازدياد تواتر الظواهر الجوية الشديدة تحدث المزيد من الوفيات والإصابات المحتملة من جراء العواصف والفيضانات، هذه الأخيرة تسفر على أمراض كالقوليرا، إضافة إلى أنها تفتك بالأرواح.
- تسبب ندرة المياه أو زيادتها في وفاة نحو 1.7 مليون من الأطفال، إلى جانب ارتفاع موجات الحرارة في المناطق الحضرية و التي تشهد ارتفاعا في معدلات المرض والوفيات ولا سيما في صفوف المسنين المصابين بأمراض قلبية أو صدرية، كما أن زيادة مستوى الأوزون الأرضي وبداية موسم الطلع مبكرا، يساهم في حدوث نوبات الربو.
- وعليه فإنه لارتفاع درجة حرارة الأرض نتائج وخيمة على المقومات الأساسية للصحة، فالإصابات والأمراض المنجزة منها جعلت حياة الأفراد في خطر محقق خاصة في المناطق الأقل دخلا¹⁸.

المبحث الثالث: البعد الثقافي لتغير المناخ

تغير المناخ لا يؤثر فقط على النظم البيئية والاقتصاد والصحة، بل يُهدد أيضاً النسيج الثقافي والهوياتي للمجتمعات، لا سيما تلك التي تعتمد على أنماط تقليدية في المعيشة، أو التي ترتبط هويتها ارتباطاً وثيقاً بالأرض والمناخ المحلي¹⁹.

المطلب الأول: المناخ كعنصر ثقافي

في العديد من المجتمعات، لا يُنظر إلى المناخ بوصفه مجرد حالة طبيعية، بل كمكوّن أساسي في الذاكرة الجماعية، والطقوس، واللغة، والممارسات اليومية²⁰، فعلى سبيل المثال:

- ترتبط المواسم الزراعية بالاحتفالات الدينية والأنشطة الاجتماعية.
 - تلعب الدورات المناخية دورًا في تحديد أنماط الزواج، التنقل، الصيد، والزراعة.
 - تؤثر التضاريس والموارد الطبيعية في العمارة، الفن، والأساطير الشعبية.
- تغير المناخ يؤدي إلى تشويش هذه الأنماط، ما يُنتج أشكالا من "الاغتراب البيئي"، وفقدان الإحساس بالهوية²¹.

المطلب الثاني: تهديد التراث الثقافي

1- اندثار المعارف التقليدية: مع تغير أنماط الأمطار أو الجفاف، تُصبح تقنيات الزراعة والصيد التقليدية غير صالحة، مما يُهدد بزوالها.

2- فقدان المواقع الثقافية: الفيضانات وارتفاع مستوى البحر تُعرض المواقع الأثرية والمقدسة للخطر، ذوبان الجليد يهدد التراث الثقافي للشعوب الجبلية والقطبية.

3- التهجير القسري: يؤدي إلى اقتلاع المجتمعات من بيئاتها الأصلية، وبالتالي إلى فقدان الارتباط بالأرض والهوية.

4- تآكل اللغة والثقافة: كثير من المعارف البيئية التقليدية متجذرة في اللغة، فقدان البيئة = فقدان السياق الذي يُبقي اللغة حية²².

المطلب الثالث: التغيرات المناخية والتحول في القيم والعادات

التحولات البيئية الكبرى أدت إلى تحولات سوسيوثقافية عميقة داخل المجتمعات. فقد أُجبرت بعض القبائل البدوية في شمال أفريقيا مثل الطوارق على تغيير أنماط تنقلها بسبب ندرة المياه وتغير مواعيد الأمطار، ما أثر على طقوسهم الاجتماعية، ونظامهم القيمي المرتبط بالبيئة الصحراوية²³.

كما أن التصورات التقليدية للطبيعة بصفاتها ثابتة ومقدسة بدأت تتزعزع أمام تغيرات مناخية لا تفسير لها ضمن الأطر الثقافية القديمة، ما فرض الحاجة إلى تبني فهم علمي أو عقلائي جديد للبيئة، خاصة بين الشباب الحضري المتعلم²⁴.

وفي المجتمعات الساحلية، مثل تآكل الشواطئ واختفاء المناطق التراثية خطراً على الذاكرة الجماعية، إذ بدأت بعض الطقوس المرتبطة بالبحر في الانقراض، ما يُضعف الروابط بين الأجيال والثقافات المحلية²⁵.

المطلب الرابع: التغير المناخي والتمثيلات الثقافية: قراءة في الخطاب الديني والإعلامي

تمثل التمثيلات الثقافية للتغير المناخي بُعداً مهماً في فهم كيفية استجابة المجتمعات له، فقد أظهرت دراسات متعددة أن الأفراد يتلقون الظواهر المناخية من خلال عدسة ثقافية، تتأثر بالخطاب الديني ووسائل الإعلام والتعليم. في السياقات الإسلامية مثل شمال أفريقيا أو الشرق الأوسط، يُنظر أحياناً إلى التغيرات المناخية على أنها "ابتلاء إلهي"، أو عقوبة على سلوك الإنسان، ما يدفع بعض الأفراد إلى التركيز على الجانب الروحي بدل المطالبة بتغيير السياسات البيئية²⁶.

أما الإعلام، فقد لعب دوراً متبايناً، إذ ساهم في رفع الوعي في بعض الحالات، لكنه في حالات أخرى ركّز على الجانب الكارثي والمثير من الظاهرة دون تعمق في أسبابها الاجتماعية، ما يخلق تمثيلات سطحية أو مشوشة لدى الجمهور²⁷.

ولضمان حماية الثقافة والهوية في زمن المناخ المتغير، يُقترح ما يلي:

- توثيق وحماية التراث الثقافي المادي وغير المادي المعرض للخطر.
- إشراك القادة الثقافيين والمجتمعات التقليدية في صنع القرار البيئي.
- دمج المعارف المحلية في السياسات المناخية والتعليم البيئي.
- تمكين المجتمعات الأصلية قانونياً واقتصادياً للحفاظ على أراضيها وهويتها.
- تبني مقارنة متعددة الثقافات في برامج التكيف والتنمية.

المبحث الرابع: استراتيجيات المواجهة والتكيف الاجتماعي والثقافي مع التغيرات المناخية

المطلب الأول: التكيف المحلي: المعرفة التقليدية كآلية للمقاومة

تُظهر العديد من المجتمعات التقليدية قدرة مميزة على التكيف مع التغيرات المناخية اعتماداً على معارفها المتراكمة عبر الأجيال، فقد طورت جماعات السكان الأصليين، مثل الأمازيغ في شمال أفريقيا أو الشعوب الأصلية في أميركا

اللاتينية، أنظمة زراعية، وطقوسًا موسمية، وممارسات بيئية، مكنتهم من التنبؤ بالتغيرات البيئية والتعامل معها بشكل مرن.²⁸

تتجلى هذه المعرفة في إدارة المياه، كالخنادق التقليدية (الفقارات أو الخطارات)، وفي الزراعة المختلطة، وفي اختيار مواقع السكن بناءً على اتجاهات الرياح، ونوعية التربة، ومع ذلك، فإن هذه الأنظمة تواجه خطر الزوال بسبب ضعف توثيقها، وعدم الاعتراف الرسمي بها، وغياب دعم سياسات التنمية لها.²⁹

المطلب الثاني : سياسات الدولة والتكيف الاجتماعي:

أظهرت بعض الدول استعدادًا أفضل لمواجهة الآثار الاجتماعية للتغيرات المناخية من خلال دمج البعد الاجتماعي في السياسات البيئية، ففي المغرب مثلاً، تم إدماج مشاريع الاقتصاد التضامني في مناطق الجفاف لدعم الأسر الفقيرة، خصوصاً النساء العاملات في الزراعة، وهو ما ساعد على خلق موارد دخل بديلة وتخفيف آثار التصحر.³⁰ غير أن السياسات الوطنية لا تزال تعاني من قصور في إشراك السكان المحليين في اتخاذ القرار، وفي مراعاة الخصوصيات الثقافية واللغوية، ما يحدّ من فعاليتها، كما أن التركيز غالباً ما يكون على البنية التحتية (سدود، حواجز...) دون الاستثمار الكافي في التماسك الاجتماعي وبناء الوعي المجتمعي.³¹

المطلب الثالث: الإعلام والتثقيف البيئي: يلعب الإعلام دوراً محورياً في تشكيل وعي الناس بالتغيرات المناخية، ففي الدول المتقدمة، ساهم الإعلام البيئي في ترسيخ ثقافة استهلاك مسؤولة وتشجيع الممارسات المستدامة، بينما في العديد من البلدان النامية، ما زال الخطاب الإعلامي يعاني من محدودية التغطية، وضعف التخصص، والانجرار خلف الإثارة بدل التفسير.³²

من جهة أخرى، أصبحت منصات التواصل الاجتماعي فضاءً جديداً لنشر الوعي البيئي، حيث تنشط منظمات المجتمع المدني، والباحثون، والناشطون في تقديم محتوى مبسط وسهل الوصول، غير أن هذا الفضاء الرقمي يشهد أيضاً انتشار المعلومات المضللة والتشكيك في العلم المناخي، مما يستدعي استراتيجيات تربية وإعلامية طويلة المدى.³³

المطلب الرابع: دور المجتمع المدني والحركات البيئية

برزت الحركات البيئية بصفقتها فاعلاً اجتماعياً جديداً في مواجهة التغير المناخي، ففي العديد من الدول العربية، بدأت منظمات غير حكومية في تنظيم حملات تشجير، وإطلاق برامج توعوية، وتنظيم احتجاجات بيئية خصوصاً في المناطق الصناعية أو المتأثرة بالتلوث.

كما أن بعض الحركات المناخية الشبابية استلهمت من التجارب العالمية (مثل حركة "أيام الجمعة من أجل المستقبل") وحاولت مواءمتها مع السياقات المحلية، ما ساهم في إبراز صوت الأجيال الجديدة في النقاش البيئي.³⁴

ورغم هذه الدينامية، تواجه الحركات البيئية في العالم العربي تحديات مثل ضعف التمويل، والقيود السياسية، والافتقار إلى الاعتراف المؤسسي، وهو ما يحد من تأثيرها البنوي على السياسات العامة.³⁵

المطلب الخامس: الممارسات التقليدية كأداة للتكيف

في مقابل هذا التهديد، تُعد المعارف التقليدية والثقافية مورداً ثميناً لمواجهة التغير المناخي:

- 1- **الرصد الشعبي:** لدى المجتمعات الأصلية طرق تقليدية لتحديد التغيرات المناخية (مثل سلوك الحيوانات، نمو النباتات، أنماط الرياح).
 - 2- **الزراعة البيئية:** أنماط الزراعة المتكيفة مع الجفاف أو السيول موجودة منذ قرون.
 - 3- **التقنيات المعمارية التقليدية:** كالببوت الطينية أو الأسطح العاكسة، أكثر تكيفاً مع الحرارة.
 - 4- **الطقوس والمعتقدات:** تُعزز احترام الطبيعة وتمنع الاستغلال الجائر.
- خاتمة:**

أظهرت الدراسة أن التغيرات المناخية لا تُحتزل في بعدها الطبيعي، بل تمثل تحولات اجتماعية وثقافية عميقة تُعيد تشكيل أنماط العيش والعلاقات بين الأفراد، كما تُغيّر من طبيعة العلاقة بين الإنسان وبيئته. وقد بيّن التحليل النظري، من خلال المنظورين السوسولوجي والأنثروبولوجي، أن المجتمعات لا تتعامل مع التحولات المناخية بوصفها صدمات خارجية فحسب، بل كظواهر تُستوعب ضمن نسقها الرمزي والثقافي، مما يجعلها تُنتج آليات متنوعة للتكيف مثل إعادة بناء المعاني الجماعية، وتكييف الممارسات الاقتصادية والمعيشية، واستثمار الرأسمال الرمزي والمعرفي في مواجهة المخاطر البيئية.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الرئيسية، أبرزها:

- أن التغير المناخي يعيد تشكيل البنى الاجتماعية ويؤثر في طبيعة التفاعل والتضامن بين الفاعلين الاجتماعيين.
- أن الثقافة تمثل إطاراً مرجعياً أساسياً في إدراك الظواهر البيئية والتكيف معها عبر الرموز والمعاني المشتركة.
- أن المعرفة التقليدية تشكّل رأسمالاً بيئياً ومعرفياً يساعد على تطوير استجابات محلية فعالة للتغير المناخي.
- أن التحولات المناخية تُسهم في إعادة إنتاج الهويات الثقافية والجماعية وتؤثر في تشكيل الوعي البيئي الجديد.

وتُبرز هذه النتائج أن الثقافة ليست عنصراً مكتملاً في فهم التغير المناخي، بل فاعل أساسي في صياغة ردود الفعل الاجتماعية، وأن أي استراتيجية فعالة لمواجهة هذه الظاهرة يجب أن تدمج المقاربة الاجتماعية والثقافية إلى جانب العلمية والتقنية، لذلك يدعو البحث إلى إعادة الاعتبار للمعرفة التقليدية، وتشجيع المشاركة المجتمعية والتربية البيئية النقدية كمدخلات أساسية لبناء صمود بيئي وإنساني عادل

الهوامش:

¹ - اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول التغيرات المناخية، متاحة على الموقع :

<https://unfccc.int/resource/docs/convkp/convarabic.pdf>، تاريخ التصفح:

2025/07/30.

² - GIEC, Bilan des changements climatiques, Contribution des Groupes de travail I, II et III au quatrième Rapport d'évaluation du Groupe d'experts intergouvernemental sur l'évolution du climat [Équipe de rédaction principale, Pachauri, R.K. et Reisinger, A. (publié sous la direction de~)]. GIEC, Genève, Suisse, 2007, p : 77.

- ³ - Climate Change , Synthesis Report, adopted at IPCC Plenary XXVII, Valencia, Spain, 12-17 November 2007, p. 72.
- ⁴ - Beck, Ulrich, Risk Society: Towards a New Modernity, Sage Publications, London, 1992, p. 48.
- ⁵ - Giddens, Anthony, The Politics of Climate Change, Polity Press, 2009, p. 8
- ⁶ - بن حمد، سامي، الأنساق الثقافية والتفاعل مع البيئة في المجتمعات المغاربية، مجلة الفكر الاجتماعي، عدد 12، 2019، ص. 44.
- ⁷ - أبو رحمة، فاطمة، النزاعات الاجتماعية في سياق التغير المناخي: دراسة حالة منطقة الساحل، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 17، 2022، ص. 72.
- ⁸ - Reuveny, Rafael, "Climate Change-Induced Migration and Violent Conflict," Political Geography, Vol. 26, No. 6, 2007, p. 659.
- ⁹ - Black, Richard et al., Migration and Global Environmental Change, Final Report, UK Government Office for Science, 2011, p. 12.
- ¹⁰ - World Bank, Groundswell: Preparing for Internal Climate Migration, Washington DC, 2018, p. 9.
- ¹¹ - منظمة الصحة العالمية، التغير المناخي والصحة البشرية، المركز الإقليمي للشرق الأوسط لأنشطة صحة البيئة، عمان، الأردن، 2004، ص ص 19-16.
- ¹² - International Alert and Swedish International Development Cooperation Agency (SIDA), A Climate of Conflict, 2008, p: 7.
- * المفهوم الدولي للجوء البيئي يختلف عن مفهوم اللجوء السياسي وغيره من أنواع اللجوء الذي ينص عليه القانون الدولي، وظهر مفهوم اللاجئين البيئي في 1985 ضمن تقرير لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، لكن ميثاق جنيف حوله لا يمنح اللاجئين البيئي وضعاً قانونياً خصوصاً أن اللجوء يحدث داخل البلد ذاته.
- ¹³ - تقرير التنمية البشرية الإنمائي الصادر عن الأمم المتحدة، 1994 المتوفر على الموقع: <https://www.undp.org> تم الإطلاع عليه يوم: 29 جويلية، 2025 على الساعة: 22:00.
- ¹⁴ - المادة 06، 05 و 11 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والذي جعله في الجزء الثالث من المعاهدة تحت عنوان قلب المعاهدة، لما ينطوي على حقوق جوهرية وحريات أساسية، تكلفها المعاهدة وعلى رأسها الحق في الحياة.
- ¹⁵ - التقرير الرابع الصادر عن الهيئة الحكومية المعنية بتغيير المناخ 2007.
- ¹⁶ - تقرير منظمة الصحة العالمية للصحة والبيئة وتغيير المناخ، ديسمبر، 2018، ص 8، المتوفر على الموقع: <https://www.oms.org>، تم الإطلاع عليه يوم 29/09/2025 على الساعة: 22:00.
- ¹⁷ - طيبل أحمد، "الأمن الصحي في الظروف الإستثنائية بين تكريس الحق وصناعة الوعي"، مجلة البحوث العلمية، المجلد 8، العدد 2، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2020، ص.ص 61-75.
- ¹⁸ - وافي مرم، إدماج اتفاقية تغيير المناخ في التشريع الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، كلية الحقوق، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2018، ص 24.
- ¹⁹ - The World Bank (2010). The Social Dimensions of Climate Change: Equity and Vulnerability in a Warming World, p. 343.
- ²⁰ - The World Bank (2010). The Social Dimensions of Climate Change Ibid., p. 344.
- ²¹ - Ibid., p. 345.
- ²² - The World Bank (2010). The Social Dimensions of Climate Change Ibid., p. 348.
- ²³ - بن ناصر، يوسف، التحولات الثقافية لقبائل الطوارق في مواجهة التغير البيئي، المركز المغاربي للدراسات الاجتماعية، 2021، ص. 38.
- ²⁴ - Leiserowitz, Anthony, "American Risk Perceptions: Is Climate Change Dangerous?" Risk Analysis, Vol. 25, No. 6, 2005, p. 1439.

- 25 - تقرير اليونسكو، تأثيرات المناخ على التراث الثقافي غير المادي، 2020، ص. 31.
- 26 - عدنان، زينب، الخطاب الديني والتغيرات البيئية في الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة دراسات فكرية، العدد 10، 2021، ص. 55.
- 27 - Boykoff, Maxwell, "Flogging a Dead Norm? Media Coverage of Anthropogenic Climate Change in the United States and United Kingdom from 2003 to 2010," Area, Vol. 43, No. 2, 2011, p. 145.
- 28 - Berkes, Fikret et al., Rediscovery of Traditional Ecological Knowledge as Adaptive Management, Ecological Applications, Vol. 10, No. 5, 2000, p. 1251.
- 29 - مروان، سهام، المعرفة التقليدية في مواجهة التغير المناخي: دراسة حالة الواحات المغربية، مجلة الثقافة البيئية، العدد 14، 2022، ص. 62.
- 30 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، التكيف مع التغير المناخي في مناطق الجفاف بالمغرب، تقرير تقني، 2019، ص. 19.
- 31 - السالمي، حسن، العدالة البيئية في السياسات العمومية المغربية، المركز المغاربي للسياسات، 2021، ص. 83.
- 32 - Shanahan, Mike, "Talking About a Revolution: Climate Change and the Media," International Institute for Environment and Development, 2009, p. 7.
- 33 - O'Neill, Saffron et al., Climate Change Communication and the Internet: Challenges and Opportunities, Wiley Interdisciplinary Reviews, Vol. 5, No. 3, 2014, p. 280.
- 34 - الحسين، نزار، الحركات المناخية الشبابية في العالم العربي: آفاق وتحديات، مجلة العمل المدني، العدد 5، 2023، ص. 49.
- 35 - McCormick, Sabrina, Mobilizing Science: Movements, Participation, and the Remaking of Knowledge, Temple University Press, 2009, p. 143.